

السلطنة الفتحية الإسلامية

في سودان وادى النيل

بقلم الشاطر بصبلي عبد الجليل

لقد جاءت هذه السلطنة إلى حوض النيل الأزرق بالسودان ، حيث اتخذت لها عاصمة من بلدة سنار التي تقع على مسافة مائة وسبعين ميلا جنوب الخرطوم . واستمرت في إدارة شئونها حتى العام الأول من العشرينات من القرن التاسع عشر . وقد كانت هذه البلدة مقراً لنائب السلطان الفنجي ويرجع اختيارها إلى موقعها على ملتقى طرق ملاحية ومحطة للقوافل التي تسير إلى الحبشة ، وساحل البحر الأحمر . كما تمتد أسفارها إلى داخل السودان .

ومن الواضح أن هذه السلطنة كانت تسيطر على منطقة النيل الأزرق والبطانة من عاصمتها جنوب غرب الأرتيريا حيث كانت تمارس سلطتها وكان السلطان يقوم برحلات عهـرية إلى مختلف نواحي مملكته كما أشار إلى ذلك الرحالة داود روييني (1) . ويبدو أن سبب انتقال هذه السلطنة من مركزها الذي احتلته في الأرتيريا منذ زمن طويل يرجع إلى حالة الحرب بين المسلمين والأجاش والتي نشبت

(1) Adler, Elkan, Jewish Travellers, Broadway, London 1931. See also Hillelson, S., David Reubini, An early Visitor to Sennar, Sudan Notes & Records Vol. XVI, p. 56—66.

لأسباب اقتصادية بحتة ، وقد انتقلت للمارك حتى اقتربت من الإقليم المدى تسيطر عليه السلطنة من الأرتيريا ، ولم يكن هناك بد من الإخلاء والهجرة نحو الغرب .

ومما يؤسف له أنه لم تصلنا وثائق تاريخية أو غيرها عن فترات حكم السلطنة تنطوي قيامها وتطورها ، ربما تكون هناك أشجار الأنساب ، وهذه عمليات روتينية يقوم بها النقباء . وقد وصلت إلينا مخطوطة طبقات ودينيق الله ، التي كتبت في أوائل القرن التاسع عشر ، وجاءت بعدها مخطوطة كاتب الشونة أحمد بن الحاج أبو طي ، الذي كان في خدمة الحكومة الجديدة في الخرطوم وجاءت بعد هذه المخطوطة مخطوطتان لا يعرف كاتبهما : وقد وجدت أكثر من نسخة من هذه المخطوطات تختلف الواحدة عن الأخرى بالإضافة والتعديل والتبديل وهذه المخطوطات قد تم وضعها في زمن غير بعيد حيث جمعت فيها الروايات للتداول . ويجد الباحث أن المعلومات التي جاءت في هذه الوثائق تتناقص كلما بمدت فترة الزمن ونجد أن ذكر السلاطين الأوائل لا يزيد عن الإسم وتاريخ اعتلاء العرش والنزول عنه .

وعلى الرغم من كل هذه الجهد فإن مشكلات تاريخية وغيرها ، قد بقيت تطرح نفسها ، أمام الباحثين ، وتشتمل هذه المشكلات أصول البيت السلطاني ، وتطور هذه السلطنة في مراحل انتقالها ، كذلك عن تظلمات الحكم والعلاقات بين السلطنة والشيوخ للتحدة معها كونه رايياً عن طريق زعامة العبد اللاب أيضاً ما زالت العلاقات بين السلطنة والحاكم المتأني على ساحل البحر الأحمر عدا ما أشار إليه الرحالة أوليا شلي وهي كلمة مقتضبة لحد كبير لكنها تشير إلى وجود تلك العلاقات :

وليدو أن كل هذه المشكلات ناجمة عن حقيقة عامة وهي : التي تحصلت بفضل الأخذ بدراسة وصفية للمجتمع وذلك عند دراسة تاريخ السودان ، بوصفه في دار الإسلام ولهذا يتم إجراؤنا للبحث بالكشف عن العلاقة بين أقاليم دار الإسلام في

هذا الجانب من أفريقيا . وقد كانت أقاليم السودان مشغل مركزاً استراتيجياً له
أهميته البالغة في التجارة والقوافل والهجرات التي تمتد طرغها إلى مناطق بعيدة من
داخل القارة ، ومن المعروف أن دار الإسلام تمتد من ساحل شرق أفريقيا وتمتد
إلى الداخل حتى هضبة البحيرات وقد تمتد إلى الغرب وإلى الشمال وتحتل جانباً من
الأراضي التي تتكون منها الحبشة الآن ويقدرها البعض أنها كانت تضم المنطقة
الواقعة جنوب أديس أبابا .

وكما أشرنا أعلاه فإننا نجد أن موضوع أصول البيت السلطاني مادة للنقاش
والجدال في الثلاثينات من هذا القرن وبصورة خاصة على صفحات مجلة السودان
في رسائل ومدونات التي تصدر بالإنكليزية في الخرطوم وقد توقفت هذه المناقشات
بسبب تقاعد الأطراف المعنية من خدمة إدارة السودان . وقد فشلت هذه المحاولات
ووصلت إلى طريق مسدود وقد رلى أن أوصل البحث في هذه المادة ، وقد توفرت لي
ذلك بعد أن عملت بمهد الدراسات السودانية (الأفريقية فيما بعد) بجامعة القاهرة
حيث أمضيت ستة عشر عاماً .

وعملت باهتمام في مراجعة النشاطات السابقة . وكان هدفي أن أجمع للمعلومات
وأضنها للباحثين ، دون أن أسمح لنفسى بإبداء رأي أفرضه ، لأن ذلك ليس في
قدرتي عمله . لأن عرض الحقائق التي أتحقق من صحتها لحد ما كافية للكشف عن
الوضع . فلذلك لا أتحمّل رأياً ولا أستطيع أن أعدل ذلك الرأي أو أتخطئ عنه .

وقد كان على أن اتخذ منهجاً للبحث ، وبمقارنات متباينة ، وجدت أن
المشكلة لا تحل إلا بدراسة تنازلية وأن تمتد تلك الدراسة إلى مناطق أقاليم دار
الإسلام المختلفة ، وقد تتكون لإقامة سلطنة في جنوب غرب الأتريريا كما شهدتها

داود رويني في المشرينات من القرن السادس عشر الميلادي نقطة البداية بالمسيرة التنازلية . ووجدنا أن نقوش دار الفنج الموجودة على النحاس، الذي نشره روبنسون (١) لها مغزى هام حيث يغطي الفترة السابقة لقيام السلطنة في الأرتيريا ، وتعتبر هذه الفترة هي الجسر الذي يربط بين طرفي للمشكلة .

وطى هذا أخذنا بإعداد جدول مرحلي يبدأ من منتصف القرن السابع لليلاي على الوجه التالي .

للرحلة الأولى من عام ٦١٥ / ٦٥٠ إلى عام ٩٥٠ :

- | | |
|---------|------------------------------------|
| تسمية أ | من ٦٦٠ / ٦١٥ إلى ٧٠٠ م |
| ب | من ٧٠١ إلى ٧٥١ سقوط الدولة الأموية |
| ج | من ٧٥١ إلى ٨٠٠ |
| د | من ٨٠١ إلى ٨٥٠ |
| هـ | من ٨٥١ إلى ٩٠٠ |
| و | من ٩٠١ إلى ٩٥٠ |

للرحلة الثانية من ٩٥١ إلى ١٢٥٠ :

- | | |
|---------|--------------------|
| تسمية أ | من ٩٥١ — ١٠٠٠ |
| ب | من ١٠٠١ إلى ١٠٥٠ |
| ج | من ١٠٥١ إلى ١١٠٠ |
| د | من ١١٠١ إلى ١١٥٠ |
| هـ | من ١١٥١ إلى ١٢٠٠ |
| و | من ١٢٠١ إلى ١٢٥٠ م |

(1) A. E. R., The Fung Drum or nehas, Sudan Notes & Records Vol. IV P. 211—212.

للرحلة الثالثة من ١٢٥١ إلى ١٥٥٠ :

قسمة أ	من ١٢٥١ إلى ١٣٠٠
ب	من ١٣٠١ إلى ١٣٥٠
ج	من ١٣٥١ إلى ١٤٠٠
د	من ١٤٠١ إلى ١٤٥٠
هـ	من ١٤٥١ إلى ١٥٠٠
و	من ١٥٠١ إلى ١٥٥٠

للرحلة الرابعة من ١٥٥١ إلى ١٨٢١ :

قسمة أ	من ١٥٥١ إلى ١٦٠٠
ب	من ١٦٠١ إلى ١٦٥٠
ج	من ١٦٥١ إلى ١٧٠٠
د	من ١٧٠١ إلى ١٧٥٠
هـ	من ١٧٥١ إلى ١٨٠٠
و	من ١٨٠١ إلى ١٨٢١

وليس في هذا التقسيم ما يشير إلى تكوين وحدات تاريخية غير مرتبطة بل بالعكس هي تصور تاريخي مستمر تضم أحداثاً مستمرة .

ووجدنا بعد القيام بالعملية التنازلية لجمع المعلومات المتوفرة ، أن ضرورة البحث تقتضى عرض الوقائع التاريخية وغيرها في تناسق تاريخي . فإذا افترضنا أن السلطان عمارة وهو السلطان الفنجي الذي انتقل على يديه كرسي الحكم إلى سنار في نهاية الخمسة والعشرين عاماً الأولى من القرن السادس عشر ووجدنا أن والده السلطان عدلان كان متولياً للعرش قبله ، فأخذنا بأن السلطان عمارة قد تولى الحكم في نهاية القرن الخامس عشر ، وباحتمال ولاية والده السلطان في النصف الثاني من القرن

الخامس عشر. وافترضنا عشرين عاماً لحكم الملاطين قبل ذلك ، خلال الفترة بين
حمارة وجده الكبير، نستطيع أن نقول أن الجدل الكبير قد جاء من لولة في أول القرن
الرابع عشر أو آخر الثالث عشر.

وهذا التاريخ يتفق اتفاقاً تاماً مع الحقيقة التي تستند لها المصادر التاريخية أن السلطنة
قد امتدت سيطرتها على إقليمى البطانة والنيل الأزرق وذلك على أثر خروج ملك
علوة السيسى في هجرته إلى الغرب حيث أخذ من بلدة « كوشة الواغلة » وقد بقي
هناك بعض الوقت ولا يعلم مصيره . ويتمتع أنه قد استمر في سفرته نحو الغرب ،
ويحتمل وصوله إلى الأقليم المعروف الآن بسيراليون حيث توجد هناك جالية من
المهجرين من إقليم الجزيرة السودانية وهم الكسو Kasa ويعرفون الآن بالكسى
Kiss (١٢) ، ويجدر بالباحثين الاهتمام بهذه الهجرات وهي التي قام بها:-

(أولاً) هجرة ملك مرو (في القرن الثالث الميلادى) .

(ثانياً) هجرة قبائل السجون من البطانة إلى الغرب (في القرن الرابع لليلادى).

(ثالثاً) هجرة ملك علوة إلى كردفان والغرب في القرن الثالث عشر .

(رابعاً) هجرة قبائل سودانية في مقدمتها الكسو Kasa من الجزيرة إلى الغرب

وتحديد تواريخها .

(١) لعمر الدكتور إيرلبر Eber Eiber النمساوى مقالا عن مشاهداته في سيراليون
وأشار إلى هذه المجموعة السودانية الـ Kissi ولم يعر بطبيعة الحال إلى الوطن الأول لهذه
القبيلة . ولقد قلنا ما نأعجب، مقالته ومقارنته مع ما ذكره ابن سليم الأسوانى . وقد اتصل به
المؤلف فلم أنه قد كتب عدداً من المقالات في دوريات الدول الاسكندنافية والدكتور إير هو
طبيب تفریح كان يعمل في غرب أفريقيا في دراسة للتطور بين القرود . وقد توفي
في الأربمنت .

ويجدر بنا قبل اعطاء صورة عن تطور المجرات الفصحية في الفترة من منتصف القرن السابع حتى القرن الثالث عشر، أن نوضح بعض المصطلحات الخاصة بالفصح .
 فلفظ الفصح الذي يطلق على هذه السلطنة ، نجد أن صورته الصوتية بكسر الفاء وسكون الهمزة ونون الجيم (فصح) وهو اللفظ القبي ينطق به في الوطن الأول الفصحية التي تسكن وادي النيل في عمان ، ولفظ «دوتيس» وهو لفظ أثيوبي يتكون من دو وهي في الأصل Djan ومنها عظيم أو كبير . ولفظ تقس Nogs لسانها النجاشي .
 ومعنى هذه الكلمة في مجموعها النجاشي الكبير .

وفي الختام هذا هذا اللقب ما يشير ضمناً إلى عابق علاقة بين الفصح والحبيشة ،
 ولفظ ملك وهو اللفظ المحلى في السودان الذي يطلق على مستوى معين من
 المراتبات وهو بين السلطان أو الملك ، وأصل هذا اللقب يرجع إلى شرق أفريقيا
 حيث يستخدم كلقب للزيم وبعضها في الصورة الصوتية فيقال Maku أو Mku أما
 جبهة المصح وصحتها الهامق والهج نقل عن المصادر الاجنبية ومعناه الترحش
 أو البدائي ، ونظ الهامق ما زالت تعرف به جماعات في بربر ودنقة .

وهناك أيضاً جماعة الأونساب ، وتأتي هذه المجموعة في الرتبة الثانية بعد بيت
 الفصح حيث تحتم التقاليد والعادات في السلطنة أن تكون زوجة السلطان للتتبع من
 هذه الجماعة وأن هذه الزوجة لا بد لها من مشاركة زوجها في خلوته التي يجب أن
 يمر بها قبل ولايته للحكم . وهذه فيما يبدو لنا نقطة هامة جديدة بالبحث لأنها فيما
 يبدو تدور فيها السلطنة في ظروف عملية في موطنها الجديد أي في الإثيوبيا ولا شك
 كان في ذلك التصيب الأكبر المصاهرة التي جعلت من الأونساب وهم خؤولة السلطان
 حكاماً . وتأتي بعد هؤلاء الهامق (الذين يعرفون في كتب المؤرخين بالههج)
 وقد كان وزراء السلطنة من هذا البيت أي بيت الهامق ، ويعرف الانساب أيضاً

بيت عين الشمس ، ولا شك في أن ضرورة الاعتكاف للسلطان للتخبط وزوجته
من عين شمس تقليد مأخوذ عن مصر القديمة .

ونتقل الآن إلى قضية الفنج ومرحلة تطور حكمهم منذ القرن السابع الميلادي ؛
أى أن يعود البحث إلى السير في ترتيبه التاريخي بعد أن تمت عملية البحث التنازلي
وتركز اهتمامنا في هذا البحث بمرحلة دخول الفنج إلى أفريقيا وتطورهم قبل القرن
الرابع عشر .

هاجرت جماعة من إقليم عمان مع مجموعات أخرى من العرب إلى ساحل شرقي
أفريقيا ، وذلك بعد ظهور الدعوة إلى الإسلام ، طلبا للرزق . وقد ورد ذكر هذه
الجماعات في مخطوطة تعرف بكتاب التزوج نشرها تشيولي في كتابه صوماليا^(١) . فقد
ورد في المخطوطة (صفحة ٢٣٦) « كان أهلها من طيوى وفنج . فمن فنج التي بمان
وواسين عربية أصلية ، وواسين اعنى حزن هو معناه ، لأن أهل فنج كانوا يجيئون
الناس هناك وكانوا يجيئون بالسفائن واللواشى غالبهم وبالبر ، كانوا يجيئون
لأجل الحرب من سواكن وبربره . . . » وللفصود بالحرب هنا ممارسة القرصنة في
الجانب الأفريقي - خليج عدن والبحر الأحمر . وتغير الموقف بعد وصوله قوات
الحليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، الذي تولى الخلافة (من عام ٦٦٤/٧٠٥م) ،
إلى ساحل الزنج حيث اتخذت قاعدة لها في جزيرة لامو .

(1) Cerulli, Enrics, Somalia. Vol. I., Roma 1957, Page 233/251 and Itabal Transtalion p. 253/325.

(2) Shaibu Faraji Bén Hamed al Bakariy al Lamuy : Khabar al Lamu, a Chronichle of Lamu, transtiterated and Transtated from the Surahili script and annotated of William Hichens, in Banu Studies Journal vol. I deel XII Maeh 1938 p. 8 ff.

وقد كان اهتمام الامويين بعد نزولهم إلى ارضييل اللامو ، موجها إلى النشاط التجاري ، فأنشأوا عددا كبيرا من الموانئ التجارية على الساحل الأفريقي الشرقي ، وشجعوا التجارة بين الشاطى وداخل القارة (١) ويبدو أنه قد أحدث في فترة سيطرة الامويين ، على ساحل شرق إفريقيا من مركز رياستهم في اللامو ، قد حدث مصاهرة بين جماعة فننج والامويين في اللامو ، وقد يؤيد ذلك ما جاء في مخطوطة كاتب الشونة (نسخة القاهرة) حيث يقول « ما جاء في ذكر نسب الفنج قبل أنهم من بنى أمية لما انتزع منهم الملك وهربتهم (كذا) بنو العباس جاء منهم رجلان إلى هذا المحل وأستولدوا للنساء وأن الفنج من نسلهم وقيل غير ذلك » . (٢) أما القول بأن الأمويين قد دخلوا إلى السودان بعد سقوط دولتهم عن طريق الشمال ، وجاء في هذه الرواية أن ابني مروان بن محمد ، آخر الامويين وهما عبد الله وعبيد الله هربا في نحو الفين من اتباعهما لبلاد النوبة سنة ٧٥٠ م ، ولم يسمح لهما ملك النوبة بالبقاء في بلاده بعد أن دار بينهما وبين النوبة نقاش حاد . وتقول الرواية انهما عادا إلى الحجاز عن طريق باضع . . . فسير أن هذه الرواية من نسج الخيال لأنه لا يوجد ما يدعمها .

وقد جاء الوقت الذي يتحتم علينا فيه العمل على تنقية التاريخ القومى من هذه الاساطير . وعلى أى فقد بقي الفنج في اللامو مع الامويين حتى نهاية دولتهم في عام ٧٥٠ م . ولم تتوفر لدينا أية معلومات مسيرة الاحداث بين نهاية دولة الامويين حتى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر . وقل ما هنالك الذى نستطيع أن نفترض بصحته أو الاخذ به وهو نقوش نقارة الدار الفنجية التى نقش عليها .

(1) Stigand, C.H., the Land of Zing, London 1913 p. 113 ff, See also Prins, A.H.J. the Coastal Tribes of the North Eastern Banta London 1952.

(٢) مخطوطة كاتب الشونة — لأحمد بن الحاج أبو على تحقيق الشاطر بصيلى عبد الجليل

تجارة الدار تقارة السلطان
عمارة بين السلطان جدلان
جدم الكبير الجاه (١) من بول
نصره الله السلطان بادي من السلطان نول (٢)

وقد حدثت تغييرات هامة بعد نهاية الدولة الأموية وقيام المبسين فقد اشتدت
التجارة في النوازل ، واتسعت رقعة النشاط الاقتصادي في مختلف بقاع القارة
الأفريقية حيث دخل للنامرون من العرب إلى داخل القارة وعملوا في التجارة
والمدن وأسسوا المدن في النقاط الاستراتيجية . وجاءت أيضا جماعات من النبهانيين
والزر وعيين وأسسوا بيوتا تجارية أو بمعنى أدق نقابات . وأسسوا المدن ولوان
ودخلوا تمديلات كبيرة على المجتمع . وعملوا على نشر الاسلام ، الأمر الذي أوكل
إلى الفقهاء بطرق مسيرة وأنشأوا دور التعليم وللزارح لتعليم السكان المحليين
للاخذ بهما وأدخال الزراعات الجديدة .

وبمنا التعرف على مسيرة النج من مواطنهم في الامو بعد سقط الدولة الأموية وقد
ارتبطوا بها ارتباطا وثيقا . فهناك احتمال أو افتراض خروجهم من الامو إلى الشمال
عن طريق البحر . وعلى هذا فقد أخذنا بتقسيم الزمن فترات قد تبلغ الثلاثة قرون من الزمان .
وتمتطيع أن تتعب هذه المرحلة بالبحث عن مختلف السلك . فيحتمل أنهم قد
تقلوا عبر البلاد الشمالية إلى الصومال وإقليم سلطنات الطراز الإسلامي . ويحتمل
أيضا أنهم قد انتقلوا عن طريق البحر الأحمر إلى أحد ميناءين في الحبشة والارتريا

في القرنين الثاني والثالث للهجرة .
والتي هي الآن في الصومال .
(١) الجاه = الذي جاء .
(٢) A.E.R. the Fung Drum or Nehas, Sudan Notes
& Records vol. IV p. 211-212.

أولها ميناء عدى والثالثه ميناء مدر ويني هذا الافتراض على وجود مقابر
صندوقية (١) كثيرة المدد وهي للقابر التي اعتاد أن يستخدمها الفنج لدفن موتاهم
من الملاطين ومن في درجهم . وتمتد هذه للقابر الصندوقية حتى خور بركة
في الارتريا .

وتواجه الباحث أيضاً مشكلات تطرح نفسها لتحديد العلاقة بين السلطنات
الحلية التي كانت قائمة وبين الفنج أو الفنج قبل تكون سلطنتهم فقد كانت هناك سلطنة
الديجون التي حكمت لفترة طويلة وامتدت سيطرتها حتى عيذاب في الشمال . ونعلم
أنها كانت محكومة بسلاطين من النساء منها للكة صديقه ، وتعلم أيضاً أخت الملك
مكز للسماة قميوه دوكت الوصاية على ابنه .

ولا شك في أن البحث عن هذه السلطنة الفنجية في مرحلة تكوينها موضوع له
أهميته البالغة فهي أيضاً تكشف عن نشاطات العرب والمسلمين في هذه الجهة
من أفريقيا .

(1) Kammerer, A., La mer Rouge, L'abyssinie et
l'Arabie aux XVII Seconde Partie XVII p. 315,
p. 300—36.

obeykandi.com

www.obeykandi.com

مراجع البحث ومصادره

ابن بطوطه : رحلة

السعودى : مروج الذهب

كتاب التزويج بكتاب صوماليا لمؤلفة تشرولى طبع روما الجزء الأول
أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطه كانت الشونه تحقيق الشاطر بصلى عن اكليل
لقاهره سنة ١٥٦١

Arkell, A.J., Cambay and Bead Trade : Antiquity
X, 1936.

Axelson, E., South East Africa, 1940.

Badger, E., History of the Immams and Seyyids
of Oman, 1871.

Freeman-Grenville, G.S.P., The Medieval History
of the Coast of Tanganyika, 1962.

Kamerer, A., Le Mer Rouge, l'Abyssinie et
l'Arabie, Caire.

Prinns, A.H.J., The Coastal Tribes of the North
Eastern Bantu, 1952.

Sergeant, R.B., The Portuguese off the South
Arabian Coast, 1963.

Shaibu Faraji bin Hamed Al Bakariy al Lamy,
Khabar al Lamu, translation by Hichens, Bantu
Studies Journal, XII, No. I, 1938.

Stigand, C.H., The Land of Zing, 1933.

Strandes, J. The Portuguese Period in East Africa.

